

## أثر الدكتور مصطفى ناصف في دارسي شعر ما قبل الإسلام

أ.م.د. بتول حمدي البستاني\*

تاريخ القبول: 2001/6/23

تاريخ التقديم: 2001/5/20

بيّنا في دراسة سابقة أن الدكتور مصطفى ناصف درس القصيدة العربية في عصر ما قبل الإسلام بوصفها رموزاً لها دلالات معينة، إذ كشف لنا عن دلالات الطلل والمرأة والفرس والناقة والليل والمطر<sup>(1)</sup>، معتمداً على نظرية يونج في اللاشعور الجمعي. وقد أسس للرمز في كتابه (الصورة الأدبية)، ورأى أنه صورة مستقلة، وجودها ذاتي، تتحرك حركة حرة، وتتمتع بأصالة غريبة، ولا تخضع لمفاهيم خارجية ... وفي الرمز وحدة ذاتية، واستقلال مكين يجعله السيد الأعلى في القصيدة، فيتمرد على اتباع جزئي معين من جزئياتها ... (وهو) ابن السياق وأبوه، والرمز، حقاً، سمة القصيدة كلها، وليس سمة عبارة مفردة<sup>(2)</sup>. وبين مفهوم الرمز عند يونج ومصادره ووظيفته .. فهو أحسن طريقة للتعبير عن الأشياء التي لا نجد لها معادلاً فكرياً ... وينتمي إلى مجالي الشعور واللاشعور، ويوضح الحالات السيكولوجية المعقدة والغامضة والمتناقضة .. أما مصدره فهو اللاشعور الجمعي، حيث يوجد لدى كل شخص ذكريات شخصية، ووراء هذه الذكريات بعض النماذج أو الصور البدائية الأولى الموروثة من الأجداد والمخزونة في الذاكرة الكبرى. وتظهر هذه الصور من حين لآخر في الأحلام والغضب الشديد، إذ يطلع الشاعر المبدع عليها بالحدس، ويسقطها في رموز<sup>(3)</sup>. من هنا نلاحظ

\* قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة الموصل.

(1) الشعر العربي قبل الإسلام في دراسات الدكتور مصطفى ناصف: د. بتول حمدي البستاني

- مجلة التربية والعلم - العدد 21 - 1998: 115-127.

(2) الصورة الأدبية: د. مصطفى ناصف - دار الأندلس - بيروت - ط2 - 1981: 157-

158. طبع الكتاب للمرة الأولى سنة 1958.

(3) المصدر نفسه: 171-175.

اهتمام (ناصر) بالرمز في تفسير الشعر، إذ رفض القول بالتشبيه في بيت امرئ القيس<sup>(1)</sup>:

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيحُ رهبان تشب لقفال

ورأى أننا إزاء صورة جمع الشاعر من خلالها - في نظرتَه إلى محبوبته - بين واجب الغزاة وعبادة الرهبان والنظرة إلى الجمال، وأنَّ القول بأن الشاعر شبه نور النجوم وقت السحر بنور مصابيح الرهبان الموقدة طوال الليل، من مسخ التشبيه بالمبالغة<sup>(2)</sup>. وحث (ناصر) على قراءة قصيدة امرئ القيس<sup>(3)</sup>:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العُصْرِ الخالي  
وهل يعمن إلا سعيدٌ مخلد قليلُ الهموم ما يبببت بأوجال  
ديار لسلمى عافيات بذى خال ألحَّ عليها كلَّ أسحم هطال  
إلى قوله:

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

في ضوء رمز الماء، ولا نفرؤها قراءة أغراض ومقدمات ... فالماء هنا رمز للهلاك والحياة، إذ إن الماء الذي أهلك الديار، طهر بدن المحبوبة التي سما إليها الشاعر سمو حباب الماء. وقد بدا امرؤ القيس حزينا عابسا ثم بدا بعد ذلك منطلق الوجه راضيا. والرضا وعدمه وجهان انطباعيان عن ازدواج معنى الماء. أما صورة السيف وصورة الزوج الذي يعتدي عليه امرؤ القيس في قوله:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنيابِ أغوال

فيعبران عن خوف رابض في عقل الشاعر فضلاً عن أنه كان مروعا بأشباح ورؤى مخيفة، وإحساس بالدمار لم يستطع التخلص منه مما دفعه إلى الاعتداء ...

(1) ديوان امرئ القيس: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - ذخائر العرب 24 - دار المعارف

- مصر - ط4 - 1984: 31.

(2) الصورة الأدبية: 63.

(3) ديوان امرئ القيس: 27-39.

من هنا كان علينا أن نربط ربطاً أسطورياً بين صورة الأسحم الهطال وأنياب الأغوال<sup>(1)</sup>.

إذن .. يعمد (ناصر) هنا إلى النظر إلى الأساطير الكامنة في لا وعي الشاعر الجمعي، ويستخلص منها الرموز التي تساعد في الكشف عن دلالات شعر ما قبل الإسلام، فامرؤ القيس في قوله<sup>(2)</sup>:

وليلٍ كموج البحر أرخى سدولهُ علي بأنواع الهموم ليبتلي  
فقلتُ له لما تمطي بجوزِهِ وأردف أعجازا وناءً بكأكل  
ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبح، وما الإصباح فيك بأمثل

لم يصف طول الليل كما قال الشراح<sup>(3)</sup>، بل يكشف عن ارتباط ليله بحيوان خرافي كالكابوس، أما صورة (التمطي) فلها علاقة بالوسواس الذي يتسلط على الإنسان ويوحى له بالذعر الشديد<sup>(4)</sup>.

وقد التقى معه في هذه الرؤيا الدكتور عمر الطالب الذي يرى أن الميثولوجية القديمة هي التي انبعثت في إبداع شعر ما قبل الإسلام إذ إن ليل امرئ القيس ((حيوان خرافي عظيم الخلق، لعله من مخلفات الأساطير القديمة والعبادات الوثنية))<sup>(5)</sup>، لذا بعث في الشاعر خوفاً من المجهول الكامن فيه. وإنَّ طعائن زهير بن ابي سلمى تذكر برحلة كلكامش في بحثه عن الخلود. ويمثل الماء في قوله: (وردن الماء ...). العالم الآخر في الديانات السومرية والأكدية والبابلية القديمة. أما الماء الأزرق فيذكرنا بالبحر الذي أبحر فيه يوليوس في

(1) نظرية المعنى في النقد العربي: د. مصطفى ناصر - دار القلم - القاهرة - ط1 - 1965: 132-134.

(2) ديوان امرئ القيس: 18.

(3) ينظر على سبيل المثال: شرح القصائد العشر: صنعة الخطيب التبريزي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط3 - 1979: 66 وما بعدها.

(4) نظرية المعنى: 123.

(5) رحلة في معلقة امرئ القيس: د. عمر الطالب - مجلة المجمع العلمي العراقي - مج 29 - 1978: 129.

الأوديسة لهوميروس. وإذا ربطنا بين الكلة بحواشيها المدماة وحب الغناء لاتضح لنا شجرة الخلد التي تحمل أوراقها حياة البشر فإذا سقطت ورقة الإنسان حان أجله ... ويجد الطالب رابطا بين الوادي والقبر والفم وانقضاء الأجل في قوله: (فهن ووادي الرس كاليد للفم) لأنه يسحق ما يلتهمه واليد تضع فيه ما يسحق ويفني<sup>(1)</sup> ... ويرى (ناصر) أن متاعب الطموح تشكل قلب الصورة في قصيدة امرئ القيس<sup>(2)</sup>.

صيود من العقيان طأطأت شملال	كأني بفتخاء الجناحين لقوة
وقد حجرت منها ثعالب أورال	تخطف خزان الشربة بالضحى
لدى وكرها العناب والحشف البالي	كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
كفاني - ولم أطلب - قليل من المال	فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة
وقد يدرك المجد المؤئل أمثالي	ولكنما أسعى لمجد مؤئل
بمدرِك أطراف الخطوب ولا آل	وما المرء ما دامت حشاشة نفسه

يرمز الحشف البالي - طعام السوق من الناس إلى الحياة الرديئة التي ينكرها امرؤ القيس .. أما العناب فهو رمز للتاج أو الحياة النبيلة التي يسعى إليها، ولو أننا درنا حول فكرة التشبيه لضلّ من بين أيدينا نسيج المعنى كله<sup>(3)</sup> إذن .. علينا أن نعامل الشعر الذي فيه تشبيه معاملة الرمز، إذ إن الرمز هو الذي يحقق وحدة القصيدة<sup>(4)</sup>.

(1) القلق والاعتراب في الشعر العربي قبل الإسلام: د. عمر الطالب - دار عكاظ - المغرب - 1988: 33. وتنتظر قصيدة زهير: في شرح شعر زهير بن أبي سلمى: صنعة: أبي العباس ثعلب - تحقيق: د. فخر الدين قباوة - منشورات: دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط1 - 1982: 16 وما بعدها.

(2) ديوان امرئ القيس: 38-39.

(3) نظرية المعنى: 141-142.

(4) المصدر نفسه: 120-121، 130.

إنَّ (ناصفاً) هنا يريد فتح أفق الشعر وعدم تضيقه في ما يسمى بالتشبيه على الرغم من دور التشبيه في عملية الخلق الشعري وهو هنا يحاول الابتعاد عن النظر إلى التشبيه من زاوية منطقية وجدناها عند معظم نقادنا القدماء، ويدعو إلى دراسته دراسة جديدة تعتمد على اللاشعور وهو منبع الرمز وبالتالي منبع الإبداع. إنَّ دعوته أقرب إلى ترسيخ الشعرية الحقيقية في القصيدة وتعميق القيم الإبداعية في النص.

وبحث (ناصف) بصورة اشمل وأوسع في دلالات شعر ما قبل الإسلام في كتابيه، دراسة الأدب العربي<sup>(1)</sup>، وقراءة ثانية لشعرنا القديم<sup>(2)</sup>، وقد وجدنا دراسات عديدة اعتمدت المنهج نفسه والطريقة ذاتها - سواء أشارت إلى ذلك أم لا - في تحليلها لطواهر عديدة موجودة في شعر ما قبل الإسلام لم يتناولها (ناصف) بالدراسة أو أنه قد تناولها، فجاءت هذه الدراسات وأضافنا إليها الكثير وطورتها. وسنختار من هذه الدراسات دراسة الدكتور عبد الجبار المطلبي المتميزة والموسومة بـ ((قصة ثور الوحش وتفسير وجودها في القصيدة الجاهلية))<sup>(3)</sup>، ف (ناصف) يرى أنَّ الثور رمز للفناء، ومشكلة المصير وتصويره الصراع من أجل الحياة.. أما الصراع بينه وبين الصياد والكلاب فيمثل صراعاً بين بواعث القوة والتقدم وبين بواعث التقهقر والتناصر والفرقة<sup>(4)</sup>. بينما ينطلق المطلبي من كون الثور إلهاً مقدساً عبُد منذ أيام السومريين والبابليين والآشوريين، وانتقلت عبادته منهم إلى الحثيين والساميين الشماليين والكنعانيين والفينيقيين والعبريين والإغريقين ومن ثم إلى شبه الجزيرة العربية التي كانت تعاني من جذب الطبيعة وفقرها، مما دعا إلى تقديس الثور رمز الخصب والنماء والقوة التي تتحكم في إنزال المطر.. فضلاً عن أنَّ إله القمر ((نتار)) في سومر كان ثورا، ومردوخ إله الشمس والأرض في

(1) دراسة الأدب العربي: د. مصطفى ناصف - دار الأندلس - بيروت - ط2 - 1981، وسيكون اعتمادنا عليه في الإحالة. وكانت طبعته الأولى سنة 1966.

(2) قراءة ثانية لشعرنا القديم: د. مصطفى ناصف - دار الأندلس - بيروت - ط2 - 1981، وسيكون اعتمادنا عليه في الإحالة. وكانت الطبعة الأولى للكتاب سنة 1972.

(3) بحث منشور في مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - 12/1969: 202-243.

(4) ينظر: دراسة الأدب العربي: 270-272. وقراءة ثانية لشعرنا القديم: 179.

بابل يمثلته الثور أيضا. ومن هنا يمكننا معرفة سر الصور الموجودة في القصيدة عن الثور، وسر الإشارة إلى المطر، قال النابغة<sup>(1)</sup>، على سبيل المثال:

كأنّ رحلي وقد زال النهار بنا يوم الجليل، على مستانسٍ وحدٍ  
من وحشٍ وجرة، موشّي أكارعُهُ طاوي المصير، كسيف الصيقل الفردِ  
سرت عليه من الجوزاء سارية تُرجي الشمال عليه جامد البَرِدِ

وما هذه الصورة إلا رموز أو إشارات أو ((تطور لترانيم أو ملاحم أو تفوهات دينية قديمة تتصل بقديسية الثور وما كان يرمز اليه من الخصب والمطر والاتحاد به في الصيد، ولكنها لم تعد تحمل مغزى دينيا بل انتهت إلى الشعراء الجاهليين المعروفين بتقاليد أدبية وإن لم تخل من إشارات وسمات هي بقايا قديسية انقرضت يستطيع الملم بأصولها من فهمها والنفاذ إلى إيماءاتها ومراميها<sup>(2)</sup>).

إذن .. ينطلق (المطلبي) في تفسيره هذا من نظرية اللاشعور الجمعي ودراسة الأديان والأساطير القديمة.

ورأى د. عادل البياتي أنّ الثور رمز مقدس، له جذور دينية وأسطورية قديمة في لاوعي الجماعة، ظهرت في أدب الأيام<sup>(3)</sup>. وكان للكاهن والملك والرئيس القديسية ذاتها<sup>(4)</sup>.

رأى الرؤيا ذاتها الدكتور احمد كمال زكي في دراسته: التشكيل الخرافي في شعرنا القديم<sup>(5)</sup>. في حين تساءل د. نصره عبد الرحمن عن سبب تكرار قصة الثور

---

(1) ديوان النابغة الذبياني: شرح: عباس عبد الستار - دار الكتب العلمية - بيروت - ط2 - 1986: 10-11.

(2) قصة ثور الوحش وتفسير وجودها في القصيدة الجاهلية: 238.

(3) كتاب أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة (ت 209هـ) ملتقطات من الكتب والمخطوطات - القسم الأول: دراسة مقارنة لملاحم الأيام العربية: د. عادل جاسم البياتي - مطبعة دار الجاحظ - بغداد - 1976: 235-241. واصل الكتاب رسالة علمية نوقشت سنة 1973.

(4) المصدر نفسه: 267-306.

(5) دراسة منشورة ضمن كتاب: دراسات في النقد الأدبي د. احمد كمال زكي - دار الأندلس - بيروت - 1980: 151-174.

الوحشي والصيد والكلاب في القصيدة العربية، ورأى أنّ هذا الثور له نظيره في السماء، وأنّ الصياد والكلاب يمثلون مجموعة من الكواكب والنجوم فيها<sup>(1)</sup>. ويتكلم الدكتور على البطل على صورة ثور الوحش في قصيدة ما قبل الإسلام في دراسته التي لم تكتف بالكشف عن أصل الصور والرموز في شعر ما قبل الإسلام بل امتدت حتى آخر القرن الثاني الهجري .. عمد فيها إلى الكشف عن الأنماط المكررة في تلك الصور ودراسة الشعر من ناحية ارتباط صورته الفنية بمنابعها الأولى المتمثلة بالأساطير والمعتقدات الدينية، والممارسات الشعائرية القديمة، فصورة ثور الوحش لها علاقة أسطورية وطبيعية بين الشمس والقمر. فالقمر يظهر حينما تختفي الشمس، والشمس تظهر حينما يختفي القمر، ويمثل الثور رمزاً للإله القمر .. وكما يتعرض القمر للمحن في الشتاء يتعرض الثور كذلك لمثل هذه المحن .. فالقمر تحجبه السحب المظلمة، والثور يمنعه من السير والانطلاق الليل والبرد والريح والمطر، وما أنّ يأتي الصباح حتى يكون الثور في مواجهة الصياد وكلابه حيث ينتصر فيها على أعدائه إذ تجتمع به قوتان إلهيتان، قوته مع قوة الناقة المعبودة المقترنة به فضلاً عن القوى الأخرى المساعدة كشجرة الأرتى التي تحميه. وفي حالة هزيمته فهو يقرب بالإنسان الفاني الذي تسيطر عليه قوى الدهر الغالبة على قوى آلهة العالم القديم<sup>(2)</sup>.

تعد دراسة (البطل) أكثر شمولاً من الدراسات السابقة لها، فهي تحيط بالصور الفنية لشعر ما قبل الإسلام، وتوغل في البحث عن الأنماط الأسطورية العليا المستقرة في اللاشعور الجمعي ... وهو يحاول أن يكون أقل انطباعاً من غيره فلا يأتي بتحليلات بعيدة عن النص، ويسكت عن التأويل البعيد في تفسيره لبعض الصور فهو يعترف بأن صورة الحمار الوحشي لم يكشف التاريخ عن أصولها الدينية والأسطورية أما الشعر فقد أبقى ما يشكل ملامح من أسطورة

(1) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث: د. نصره عبد الرحمن - مكتبة الأقيصى - عمان - 1976: 133-139.

(2) الصورة الفنية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها): د. علي البطل - دار الأندلس - بيروت - ط2 - 1981: 124-137.

مفقودة تتصل بالشمس والرحلة إلى مناطق الرعي وموارد المياه. أما بالنسبة للظليم فما يتصل به أكثر غموضاً من الحمار<sup>(1)</sup>.

\* \* \*

رأى (ناصر) أن الناقة حيوان أسطوري مقدس يؤدي إلى الشؤم<sup>(2)</sup>. وهي رمز لأمر عديدة منها القهر، والحياة، والموت، والصمود، والأمومة القوية، والحركة، والعمل الدائب<sup>(3)</sup>. أما سبب تقديسها عند (البياتي) فيعود إلى اقتران ملاحم الموت والفناء بها، ولا يخفى علينا ما فعلته ناقة صالح (عليه السلام) وناقة البسوس بقومهما<sup>(4)</sup>.

ويختلف (البطل) معهما إذ يرى أنّ صورة الناقة في شعر ما قبل الإسلام بعيدة عن آثار التقديس الديني وقريبة من الواقع .. فالشاعر عمد إلى ذكر أوصاف الناقة اعتزازاً منه بها ورغبة في إظهار نفاستها .. مثلما فعل طرفة بن العبد في ناقته التي وصفها في ثمانية وعشرين بيتاً في المعلقة<sup>(5)</sup>. في حين يرى (ناصر) أنّ الناقة تحمل معنى روحياً هاماً لذا وقف الشعراء بتأن عند كل عضو فيه لاسيما طرفة، إذ جمعت ناقته في نفسها قوى متعددة جامدة وحية، ففيها من قوى الظليم والثور وحمار الوحش<sup>(6)</sup> .. وهي مجمع الرحمة والعذاب والأمن والخوف تنير فيه الكراهية، فيريد أن يفندي نفسه منها وليس كما قال الشراح في قوله<sup>(7)</sup>:

على مثلها امضي إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك منها وأفتدي

(1) الصورة في الشعر العربي: 144.

(2) ينظر: قراءة ثانية لشعرنا القديم: 109، ودراسة الأدب العربي: 243-251.

(3) قراءة ثانية لشعرنا القديم: 98-120.

(4) كتاب أيام العرب قبل الإسلام: 244.

(5) الصورة في الشعر العربي: 152-153.

(6) دراسة الأدب العربي: 243-244.

(7) قراءة ثانية لشعرنا القديم: 164-165. وينظر: الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد،

تحقيق ودراسة لشعره وشخصيته: د. علي الجندي - دار الفكر العربي (د.ت): 44.



وتتجلى كراهية طرفة للناقاة في قوله<sup>(1)</sup>:

وما زال تشرابي الخمر ولذتي      وبيعي وإنفاقي طريقي ومتلدي  
إلى أن تحامنتي العشيرة كلَّها      وأفردت إفرادَ البعيرِ المعبِّدِ  
وقوله داعياً عليها بالهلاك<sup>(2)</sup>:

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا      على رسلها مطروفةً لم تشدِّدِ  
إذا رجعت في صوتها خلت      تجاوبَ أظارَ على رُبع ردي

وعلى الرغم من التقاء رؤياً (الطالب) مع (ناصر) في أن الناقاة لم تكن صلتها مادية بالشاعر بل أخصبت صلة نفسية نفذت بكثافتها إلى أعماق الشعور الفردي والجماعي، وغدت رمزاً مصدره اللاشعور عند شعراء ما قبل الإسلام، إذ ((ارتفعت إلى مصاف الأساطير))<sup>(3)</sup> .. إلا أنه لم يتفق معه حينما جعل من الناقاة ((منبت كل ما هم وأقلق وأحزن الشاعر الجاهلي))<sup>(4)</sup>، ورأى أن ((الناقاة لم تكن منبت كل هم بل كانت مخرجاً له))<sup>(5)</sup> .. وأن طرفة لم يكره الناقاة بل أحبها أكثر مما أحب المرأة لأنها خضعت له خضوعاً كاملاً في حين أن المرأة لم تخضع له، لذا عمد إلى تجزئتها وإعادة خلقها من خلال التفصيل في وصفها<sup>(6)</sup>، بينما عامل المرأة بالمثل كما في قوله<sup>(7)</sup>:

وإذا تلسنني السُّنُّها      إنني لسنتُ بموهونٍ فقِر

ونحن لا نستغرب من موقف طرفة تجاه المرأة والناقاة فهو الشاعر الشاب الثائر الذي لا يستطيع الركون في مكان ما، وقد كانت الناقاة أكثر تلاؤماً مع الشاعر من المرأة فهي الوسيلة والغاية للتخلص من المكان الذي لا يسعد فيه

(1) المصدر نفسه: 49.

(2) المصدر نفسه: 48.

(3) القلق والاعتراب في الشعر العربي قبل الإسلام: 48.

(4) قراءة ثانية لشعرنا القديم: 115.

(5) القلق والاعتراب في الشعر العربي قبل الإسلام: 96.

(6) المصدر نفسه: 90.

(7) المصدر نفسه: 94. وينظر: الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد: 74.

أثر الدكتور مصطفى ناصف في دارسي شعر ما قبل الإسلام أ.م.د. بتول حمدي البستاني  
والناس الذين كرههم بسبب تخليهم عنه وهو في أمس الحاجة لهم في مختلف  
فترات حياته.

\* \* \*

يمثل الفرس أيضا عند (ناصر) رمزاً معقداً مثل الناقة، ومعوذة مزودة بقوى  
كثيرة<sup>(1)</sup>، وهو فرس أسطوري وجدناه متجسداً في معلقة امرئ القيس<sup>(2)</sup>.  
وقد وجد البحث أن الكثير من الباحثين رأوا رؤيا (ناصر) في الفرس، منهم  
الدكتور إبراهيم عبد الرحمن، الذي عد حصان امرئ القيس حصانا أسطوريا  
غريبا<sup>(3)</sup>. وانه أكد أهمية البحث في رموز الصور الشعرية لعصر ما قبل الإسلام  
عن طريق ردها إلى أصولها الميثولوجية، وهذا يحتاج إلى معرفة حضارة العرب  
القديمة وثقافتهم الدينية والميثولوجية، وتحديد مدى تأثرهم بالحضارات المجاورة<sup>(4)</sup>.  
وهو يرى أن القصيدة العربية تحولت ((بنقلها الشكلىة وقيمها الفنية، وأغراضها  
الموضوعية المتوارثة إلى بناء رمزي متكامل ومتنوع الأدوات والوسائل  
والأهداف))<sup>(5)</sup>. من هنا كان الشعر رمزاً لقضايا كثيرة تعبر عن التوتر الحاصل  
بين الحياة والموت، والذات، والقبيلة، والماضي والحاضر<sup>(6)</sup>.

وقد رفض طريقة (ناصر) في تحليل الشعر، ورأى أنها ((تسعى إلى تجزئة  
القصائد الشعرية المتكاملة، وتقف عند تفسير أغراض بعينها تفسيراً مستقلاً لا  
يربط بين هذه الأغراض بعضها ببعض من جهة أو بينها وبين موضوع القصيدة  
الأصلي من جهة أخرى ... فيظل فرس امرئ القيس مثلاً متميزاً من الوقوف على  
الأطلال، ومن وصف الليل، ومن الحديث عن مغامراته العاطفية في سائر أجزاء  
القصيدة المختلفة))<sup>(7)</sup> .. ونحن لا نتفق معه في هذا القول إذ إنّه لا ينطبق مع

(1) دراسة الأدب العربي: 247.

(2) قراءة ثانية لشعرنا القديم: 81.

(3) الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية: د. إبراهيم عبد الرحمن - مكتبة الشباب -  
المنيرة - ط2 - 1979: 194-197.

(4) الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية 180.

(5) المصدر نفسه: 345.

(6) المصدر نفسه: 345.

(7) الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية: 352.

تحليلات (ناصف) للشعر فهو - على سبيل المثال - حينما يتحدث عن مشكلة المصير في معلقة طرفة، ينطلق في تحليلها من نظرة متكاملة إليها، ويرى أنها ليست إلا فصولاً في سبيل الصراع ضد الطلل الشاخص، وما أن نبدأ بقراءتها حتى يأخذنا التفكير ((في ملامح الصراع بين الطلل والوشم، والصراع بين الطلل والناقاة، والصراع بين الخمر والطلل. أضف إلى ذلك الصراع بين المغامرة المسماة بالفخر وذلك الطلل أيضاً))<sup>(1)</sup>.

إذن .. هناك علاقة عضوية وجدلية بين موضوعات القصيدة الواحدة تكشف عن موقف الشاعر من الحياة والموت وكل ما ألقاه في ذلك العصر. ورأى (البطل) رؤيا (ناصف) في أن امرأ القيس خلق لحصانه صورة أسطورية انفرد بها<sup>(2)</sup>. إلا أنه رفض رأيه بأن الحصان رمز للرجولة والأبوة لأن ذلك لا يتفق مع الأصول الأسطورية التي استند إليها في تحليله، ورأى أن الحصان حيوان مقدس ورمز للشمس الشتائية، الأنثى، الأم، البعيدة، الممتعة، ذات العلاقة بالماء والمطر. وأن ارتباط الحصان بالماء نابع من كون الأسطورة الدينية قد ربطته بصفة (ذات بعدن) وهي من صفات شمس الشتاء<sup>(3)</sup>.

وإذا كان (البطل) قد اعتمد على مصدر مهم وهو كتاب الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، فإن مصادر (ناصف) كانت غائبة لا وجود لها .. ولكن هذا لا يمنع من استيعابنا لرؤيتهما لأن النص الأصلي تتعدد قراءاته ورؤاه. وإذا كان تفكير امرئ القيس الأسطوري كما يرى (ناصف) هو الذي جعله يخلق فرسه الأسطوري، فإن أحلام اليقظة هي التي جعلت امرأ القيس يبدع فرسه الأسطوري ليحقق من خلاله الحلم الذي كرس حياته له وهو عودة الملك إليه

(1) قراءة ثانية لشعرنا القديم: 159. وهو يرى أيضاً ص 79 ((أن فصل موضوعات الشعر العربي في العصر الجاهلي بعضها عن بعض لا يستقيم به تفكير، ولا يمكن أن يوضح شيئاً)).

(2) الصورة في الشعر العربي: 156.

(3) الصورة في الشعر العربي: 151. وينظر: قراءة ثانية لشعرنا القديم: 86-87، 99، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي - دار العلم للملايين - مكتبة النهضة - بغداد - ط2 - 1978: 169/6.

في نظر الدكتور محمود الجادر<sup>(1)</sup>، الذي أدرك أنّ التشبيهات الموجودة في شعر ما قبل الإسلام أبعد غوراً من أن تفهم فهما سطحياً يعود إلى العلاقات الموجودة بين الأشياء<sup>(2)</sup> .. وكأنني به يؤيد (ناصر) في إعادة النظر إلى التشبيه ودوره في إضفاء الشعرية على النص .. وهو يرى أنّ انشداد القدماء إلى المنطلق التنظيري حدّ من فعالية نظرهم التحليلي فانحسرت أحكامهم في زوايا التشبيه والاستعارة والمجاز من غير أن يكشفوا عن طبيعة التناظر بين الصورة الموضوعية والصورة الجانبية فضلاً عن العلاقة بين الحصيلة والباعثين النفسي والفني<sup>(3)</sup>.

وتتطور الرؤى في دراسة قصيدة ما قبل الإسلام بتطور المناهج التي تعالج النصوص الشعرية، ومع ذلك تبقى تأثيرات (ناصر)، فما هو الدكتور كمال أبو ديب يكرر قول (ناصر) في حصان امرئ القيس في أثناء معالجته البنيوية لمعلقته: ((أننا نستطيع بحق، أن نرى أوجه تشابه عدة بين ((أصاح ترى برقاً)) في وحدة السيل وصورة الحصان الذي يومض فجأة مثل البرق عبر الأفق وكأنه ذلك الحصان الأسطوري المجنح عند الآشوريين))<sup>(4)</sup>.

إذن .. يتفق (أبو ديب) مع (ناصر) في عدّ الحصان حصاناً أسطورياً على الرغم من تباين منهجهما في تحليل شعر ما قبل الإسلام.

\* \* \*

---

(1) مطولة امرئ القيس، بحث منشور في كتاب: نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام، دراسة وتحليل: د. نوري حمودي القيسي ود. محمود عبد الله الجادر ود. بهجت عبد الغفور الحديثي - مطبعة دار الحكمة - الموصل - 1990: 85.

(2) عناصر الوحدة الثقافية في الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام: د. محمود عبد الله الجادر - مجلة المجمع العلمي العراقي - ج2 و3 - مج 1982/33: 239-240.

(3) تحول الصورة في القصيدة التراثية (ثلاثة أنماط)، بحث منشور في: دراسات نقدية في الأدب العربي: د. محمود عبد الله الجادر - مطبعة دار الحكمة - الموصل - 1990: 127-128.

(4) نحو منهج بنيوي في تحليل الشعر الجاهلي، ومعلقة امرئ القيس، الرؤية الشبقية: د. كمال أبو ديب - مجلة فصول - مج4 - ع2 / 1984: 108.

انطلق الدكتور أنور أبو سويلم من الفكرة نفسها التي انطلق منها (ناصر) حول ارتباط المطر بالفرس فكان كتابه: المطر في الشعر الجاهلي<sup>(1)</sup>، تكراراً لأفكار (ناصر) التي قلما كان يشير إليها .. إذ يرى (ناصر) وجود علاقة بين المطر والفرس، إذ أنهما جزءان مترابطان، وكانت صفات الفرس عند معظم الشعراء مرتبطة بالماء فهو المنتزل والمسح والسباح والديرير .. وقد كشف شعر امرئ القيس دور الراهب والشاعر وسادة القوم في صنع المطر، فضلاً عن دور الحيوانات ولاسيما الكلب والناقة<sup>(2)</sup> .. ولا ينزل المطر إلا بعد جهد وقلق وتوتر، وكان فرسه ((أشبه بالجهد الذي يبذل لإنزال المطر))<sup>(3)</sup>، قال امرؤ القيس<sup>(4)</sup>:

مِكْرٌ، مِفْرٌ، مُقْبِلٌ، مُدْبِرٌ، مَعَاً      كجلمود صخر حطّه السيلُ من عل  
كميتٍ يزلّ اللبْدُ عن حال متّهِ      كما زلّت الصّفواءُ بالمنتزَل  
مسحّ إذا ما السابحاتُ على الونى      أثرنَ غبارا بالكديد المرّكَل

فالأصوات في هذه الأبيات وتكرار الحروف يشير إلى الجهد المبذول من قبل الفرس، وكأنه كائن نبيل، ملهم، تتنازع وظائف غامضة، وتلح عليه مطالب تجعله يمتلك القدرة على إرسال الغيث الذي ينتظره الشاعر بصبر، ومن ثم يعم الخير وينتشر<sup>(5)</sup> .. وقد أشار الدكتور نصرّة عبد الرحمن - منطلقاً من رؤى (ناصر) - إلى أن للأرق في شعر ما قبل الإسلام أعماقاً ميثولوجية، فالشاعر مسؤول عن صنع المطر .. وكان عرب ما قبل الإسلام يتصورون السماء ناقة لذا نجد السحب عند الشعراء نياًقاً يتحلب المطر من ثدييها، قال طرفة بن العبد<sup>(6)</sup>:

كأن الخاليا فيه ضلت رباغها      وعودا إذا ما هرّه رعدُه احتقل

(1) منشورات دار عمار - عمان ودار الجيل - بيروت - ط1 - 1987.

(2) قراءة ثانية لشعرنا القديم: 79، 125، 138.

(3) المصدر نفسه: 80.

(4) ديوان امرئ القيس: 19-20.

(5) قراءة ثانية لشعرنا القديم: 83، 87، 89.

(6) ينظر: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي: 68، 156-157. والشاعر الجاهلي الشاب

طرفة ابن العبد: 113.

أما (أبو سويلم) فيرى أن ((فكرة المطر وفكرة الفرس متماثلتان في ذهن الشاعر الجاهلي تماثلاً غريباً، فالفرس مسح وسابح ودرير))<sup>(1)</sup>. وإنزال المطر يحتاج إلى قدرات سحرية تمتلك القوة على استنزال المطر، ولا توجد إلا عند الملوك والكهان وبعض الأشخاص مثل الشعراء الذين اعتنوا بسقوط المطر، وكانوا يحسون بالقلق والتوتر، ويسهرون في انتظار البرق والريح والمطر .. وكان للناقة دور في صنع المطر حتى أن العرب تصوروا السماء ناقة تدر عليهم بالمطر<sup>(2)</sup>. أما ثور الوحش فهو رمز جماع من الصفات الإلهية الشيء الكثير، إذ كانت له قدرة على صنع المطر والإخصاب، وما التكرار اللفظي والأسلوبي في قصته عند الشعراء إلا ((رمز ثابت في الأعماق المظلمة للشاعر الجاهلي الذي يؤمن بسحر الكلمات التي بقيت حية في ضمير الأمة بنضارتها وفطرتها))<sup>(3)</sup>.

أما التشبيهات المتكررة في الشعر الذي يصف المطر فهي ليست من قبيل المجاز وتحسين الصورة بل ((تعبير عن التوتر والقلق الناجمين من انحباس المطر، وهذا التوتر ليس وليد الإرادة الواعية، إنما هو وليد الحدس الجماعي والشعور العام، والرغبة في ماء الحياة))<sup>(4)</sup>.

إذن .. فأبو سويلم يلح على اللاشعور الجمعي والفكر الميثولوجي والرواسب القديمة التي استشفها من شعر ما قبل الإسلام، في كلامه على المطر وربطه بينها وبين الفرس. وهو أيضاً ينظر إلى التشبيه نظرة خاصة منبثقة من الطقوس والرؤى الدينية عند عرب ما قبل الإسلام.

\* \* \*

لم نجد اهتماماً بالمرأة ورموزها في دراسات (ناصر)، ولم يقف عندها مثلما وقف عند الطلل والفرس والناقة .. ما عدا اهتمامه بعينية (الحادرة) ورموزها المتمثلة بالمرأة والخمرة، إلا أن ذلك كان منطلقاً للكثير من الدارسين بعده. قال الحادرة:

(1) المطر في الشعر الجاهلي: 197.

(2) المصدر نفسه: 87، 90، 195.

(3) المطر في الشعر الجاهلي: 172-173.

(4) المصدر نفسه: 89.

بكرت سمية غدوة فتمتّع      وغدت غدو مفارق لم يرجع  
وتزودت عيني غداة لقيتها      بلوى عنيزة نظرة لم تنفع  
وتصدّفت حتى استبك بواضح      صلت كمنتصب الغزال الأتلع

فالمراة سمية وسمي، وهذا التحريف بالاسم يوحي لنا بالنقديس، فضلاً عن أنّها غزال منتصب فارغ. أما الخمرة التي كانت شراب الآلهة فعتيقة رُقت بالماء فأشبهت دم الغزال، دم سمية، وشاربها يمتلك قوة سحرية إذ كان الغزال مقدساً عندهم. وهو دائم البحث عن سمية - المبدأ - ليكون بمراى من الحياة<sup>(1)</sup> .. ويرى (ناصر) أن علينا أن نعامل الشعر الذي نجد فيه ظاهرة التشبيه معاملة الرمز<sup>(2)</sup>. فالثريا في قول امرئ القيس:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت      تعرض أثناء الوشاح المفصل

صورة رمزية للمرأة العزيزة المنال كالثريا في السماء<sup>(3)</sup>.

والسحابة في قول الأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها      مرّ السحابة لا ريث ولا عجل

رمز المرأة، فكلتاهما دثار، وكلتاهما تلد، وتتحرك وتتسم بالصباحة والبياض<sup>(4)</sup>.

وتستمر هذه الرؤى إلى شعر ما قبل الإسلام من خلال التعامل مع صورته ورموزه، فنلاحظ الدكتور نصره عبد الرحمن وافتراضاته وتساؤلاته الكثيرة عن أصل الرموز في الشعر. وقد خصص باباً لـ (الصورة الجاهلية في الإطار الرمزي، في كتابه: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ... وقد سار على نهج (ناصر) ورأى

(1) ينظر: قراءة ثانية لشعرنا القديم: 46-151. وديوان شعر الحادرة: إملاء أبي عبد الله العباس اليزيدي عن الأصمعي - تحقيق: د. ناصر الدين الأسد - دار صادر - بيروت - 1973: 43-66.

(2) نظرية المعنى في النقد العربي: 121.

(3) نظرية المعنى في النقد العربي: 123-124. وينظر ديوان امرئ القيس: 14.

(4) المصدر نفسه: 126. وينظر: شرح ديوان الأعشى: إبراهيم جزيني - دار الكاتب العربي - بيروت - ط1 - 1968: 145.

فساد رؤيا من يقول بأن وظيفة التشبيه في شعر ما قبل الإسلام هي التزيين أو التوضيح. وأكد أن كثرة تكرار المشبه والمشبه به ((يدلان على علاقة رمزية أبعد من العلاقة الظاهرية بين الطرفين))<sup>(1)</sup>.

وتساءل عن سبب تكرار تشبيه المرأة بالدمية والشمس والغزاة والمهاة .. وتوصل إلى وجود ما يشبه التقديس للمرأة إذ إن تشبيهها بالدمى والتماثيل يعود إلى كونها تصاوير لربات عبدت من قبلهم .. ويرجع تشبيهها بالشمس إلى أنها كانت مقدسة عندهم<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ((ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون))<sup>(3)</sup> .. ويخرج بنتيجة نقول: إن المرأة التي جاءت في الشعر رمز جماعي لوجدان جماعي ديني للشمس التي يؤدي رحيلها إلى الجذب والقحط<sup>(4)</sup>.

أما ظاهرة أسماء النسوة والفتيات المذكورات في المقدمة الغزلية فتعود إلى وجود رمز ديني خاص وراء كل اسم ((يدل على صفة للشمس [أو] على معبودات أخريات)). أما أسماء النساء المصدرة بأ م كأ م أوفى وأم جندب .. فهي رموز لسيدة الحكمة التي تخاطب في المناسبات الخطيرة التي تمر بالشاعر أو القبيلة<sup>(5)</sup>.

من هنا نلاحظ مدى تركيز (نصرة) على معتقد الشاعر الباطني في الكشف عن دلالة الرمز عنده، فالشاعر وثني والمرأة عنده شمس وغزاة ومهاة، ((والرمز والمرموز إليه واحد، فالمرأة هي الشمس، والغزاة هي الشمس، والمهاة هي الشمس .. [و] المرأة التي جاءت في الشعر الجاهلي يرجح أن تكون رمزاً جماعياً لوجدان جماعي ديني للشمس))<sup>(6)</sup>.

إذن .. (نصرة) يستقي من نظرية اللاشعور الجمعي في تفسيره لشعر ما قبل الإسلام، وينظر إلى النص بوصفه رمزا كما نظر إليه (ناصر).

(1) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي: 106.

(2) المصدر نفسه: 106-107.

(3) سورة فصلت: الآية 37.

(4) الصور الفنية في الشعر الجاهلي: 123-127.

(5) المصدر نفسه: 146.

(6) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي: 121-123.



وتستمر هذه الرؤيا بعد ذلك فنجد (البياتي) الذي يرجع وجود أسماء النسوة إلى صورة من صور الحب الغامض لإلهات معبودات أو لقديسات نذرن أنفسهن لخدمة المعبد وكهانه ومنهم الشعراء<sup>(1)</sup>.

وقد كرر (البطل) ما وجدناه من رؤى عند (ناصر) و (نصرة) و (البياتي). إذ قال بأن المرأة كانت مقدسة ومعبودة بوصفها رمزا للشمس الأم كما في قول الأعرشي الذي صور المرأة بيضاء بالضحى وصفراء بالعيشة لأنها هي الشمس المقدسة ذاتها<sup>(2)</sup>:

يا جارتِي ما كنت جارةً      باننت لتحرزُننا عُفارةً  
ترضيك من دلّ ومن      حُسن مُخالِطُهُ غرارةً  
بيضاء ضحوئُها وصفـ      راء العشيّة كالعراة

وكانت رموز الشمس المقدسة متمثلة بالمرأة، والحصان، والمهابة، والغزاة، والنخلة .. وقد ترسبت هذه الرموز والصور في الشعر من الدين القديم وتحولت إلى قوالب وتقاليد فنية<sup>(3)</sup> .. ورأى (البطل) أن الشعراء ركزوا على وصف الأعضاء الجسدية المتصلة بوظيفة التنازل والخصوبة الجنسية عند المرأة والتي ((تؤدي إلى الأمومة، الوظيفة الأساسية للآلهة الأم، واهبة الحياة، وضمانة استمرار النوع أو اثراء القبيلة بالعدد الوفير))<sup>(4)</sup>. ورفض رأي (نصرة) القائل بدلالة أسماء النساء على معبودات بعينها، لعدم استناده على الكشوف التاريخية أو على أسطورة أو حتى بقايا أسطورة<sup>(5)</sup>.

(1) رمز المرأة في أدب أيام العرب: د. عادل جاسم البياتي - مجلة آفاق عربية - بغداد - 1977/12: 76-75.

(2) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري: 63. وينظر: شرح ديوان الأعرشي: 77.

(3) الصورة في الشعر العربي: 43-44، 57.

(4) المصدر نفسه: 61.

(5) المصدر نفسه: 95-96.

ويتوسع في كلامه عن المرأة فيتحدث عن اقترانها بالدرة والبيضة والقطاة والحمامة، وهي جميعاً عناصر مستمدة من أصول دينية وأسطورية قديمة<sup>(1)</sup>. من هنا نلاحظ دور (ناصر) في دراسة شعر ما قبل الإسلام دراسة جديدة يعد رائداً فيها، إذ يعمد إلى الابتعاد عن القراءة السطحية لهذا الشعر ويحاول التوغل إلى ما وراء النص وأعماقه وهو ما تدعو إليه الدراسات النقدية الحديثة. وقد حصل تطور منذ دراساته إلى دراسة (البطل) التي حاولت الابتعاد عن الانطباعية من خلال التوثيق والاعتماد على الأصول الدينية والأسطورية القديمة، وروايات الإخباريين والمؤرخين وآراء النقاد والمهتمين بالتراث، فضلاً عن اعتماده على دراسات فرويد يونج في اللاشعور الجمعي. ولم يقتصر في دراسته على الكشف عن رموز المرأة والحيوانات وصورها المتكررة في الشعر بل درس الصور والرموز التي ذكرها الشاعر في قصائد المديح والفخر والهجاء والثناء والوصف وبين منابعها الأسطورية الأولى.

## *The Influence of Dr. Mustafa Nasif on Pre-Islamic Poetry Researchers*

Asst. Prof. Dr. Batool Hamdi AlBustani\*

### *Abstract*

Dr. Mustafa Nasif has valuable opinions in the pre-Islamic poetry and his opinions emanate from Young theory in the collective unconsciousness, which he presented in his studies entitled (The literary image, the theory of meaning in the Arabic criticism and another reading to our earlier poetry). The researchers were influenced by his visions, some of them agreed with him and some rejected them including Dr.

---

(1) الصورة في الشعر العربي: 77-82.

\* Dept. of Arabic/ College of Education/ University of Mosul.

---

AbdulJabbar AlMuttalibi, Dr. Adil AlBayyati, Dr. Ahmed Kamal Zeki, Dr. Kamal ABulDheeb and others.

The research tackled the symbols of night, the wild bull and wild donkey, mare, water and woman between them and Dr. Nasif and the research concluded that Dr. Nasif's reading of the pre-Islamic poetry was new in which he was considered a pioneer as he penetrated far behind the text and that what the new critical studies call for.

